وبصفة خاصة القائد المنتصر محمد بك أبو الذهب . وقد ذكر الأستاذ محمد كرد على فى كتابه حروب الشام الجزء ٢ ص ٣٠٤ :

« إن عثمان باشا السركى بعث إلى أبى الذهب بصرة ثقيلة من الدنانير ، للرجوع عن محاربته ، فارتشى منه وأمر العسكر برفع الحصار عن دمشق » .

والواقع أن أبا الذهب كان ينقم على سيده النعم التى ينعم بها ، فكان يحسده على الملك الذى ناله هو بحد حسامه — كما أن بعض تصرفات على بك كانت تثير حفيظة نفسه مثل تقديمه المعلم رزق الذى كان يشغل منصب المستشار المالى لعلى بك ، والذى كان فى نفس الوقت جليسه وأمينه وموضع سره .

كما أن أبا الذهب كان يحقد أيضا على على بك لعدم اقترانه من أخته التى رفض والدها تركها فى مصر ، هذا علاوة على ما أوحاه الأتراك إلى أبى الذهب لعدم جواز محاربة الخليفة أمير المؤمنين ، وانتهاك حرمة الحرمين ، وتحالف على بك مع الكفار الأجانب .

* * *

وبسبب خيانة محمد بك أبى الذهب فقد على بك ثمار المجهودات التى بذلها . ولكن الأمل لا يزال يعاوده باستعادة تلك الإمبراطورية ، فاستمر يرسل الإمدادات إلى حليفه الشيخ ظاهر حاكم عكا ليستمر فى المقاومة والمحافظة على ما فتحته الجيوش ، أما هو شخصيا فقد سار توا إلى غزة مع مماليكه الخواص ، وأوقع بالأتراك فى موقعة حاسمة بجوار بلدة صعير فى يوليو سنة ١٩٧٢ ، واستولى على كل فلسطين ، ولما وصلت أنباء